

نشریه ادب و زبان

دانشکده ادبیات و علوم انسانی

دانشگاه شهید باهنر کرمان

دوره جدید، شماره ۲۸ (پیاپی ۲۵) زمستان ۸۹

## جمال المعنى و حسن التعبير في الكلام العربي\*

(علمی - پژوهشی)

دکتر نصرالله شاملی

دانشیار دانشگاه اصفهان

فربیا حسینی

کارشناسی ارشد ادبیات عرب دانشگاه اصفهان

الملخص

هذه المقالة تشتمل على ثلاثة مباحث :

۱- دلالة الحروف على المعاني : نعالج في هذا القسم الصلة بين الحروف و معانيها. عنى نقاد العرب بهذا اللون من الدراسة فتعقبوا هذه الصلة بمقدار وسعهم . فنجد مثلا بعض دراساتهم حول جرس الحروف التي تضاهى أصوات الأفعال . و سنفصل القول في هذا الموضوع فيما بعد تحت عنوان « دلالة الحروف على المعاني » (ص ۳) .

۲- دلالة الألفاظ على المعاني : ندرس فيه الرابطة بين اللفظ و المعنى أو بين الشكل و المضمون. ذاکرىن آراء بعض النقاد كالجاحظ ،وابن رشيق القيروانى ، و ابن جنى ، و أبى هلال العسكري و غيرهم فى هذا الموضوع .

تاریخ پذیرش نهایی مقاله: ۸۸/۲/۱۹

\* تاریخ ارسال مقاله: ۸۶/۱۱/۲۴

آدرس ایمیل: [Dr\\_nasrollahshameli@yahoo.com](mailto:Dr_nasrollahshameli@yahoo.com)

[faribahosayni@yahoo.com](mailto:faribahosayni@yahoo.com)

۳- دلالة الأوزان الشعرية على المعاني : نعالج هنا، التلاؤم بين الوزن و المعنى مشيرين إلى ما يجب من التلاؤم بين الوزن و المعنى، ناقدين بعض الآراء في ذلك .

المفردات الأساسية : اللفظ و المعنى ، الشكل و المضمون ، أجراس الحروف ، أغراض البحور .

زیبا معنایی و بیان نیکو در سخن عرب

چکیده

این مقاله سه مبحث را دنبال می کند:

۱- دلالت حروف بر معانی: در این مبحث رابطه میان حروف و معانی مورد ارزیابی و بررسی قرار می گیرد. ناقدان عربی بررسی را به مقدار وسعشان دنبال کرده اند. بررسیهای آنان نشاندهنده این است که آهنگ برخی حروف با آوای فعلها شباهت تام دارد. این موضوع در این مقاله تحت عنوان «دلالت حروف بر معانی» نامگذاری شده است.

۲- دلالت الفاظ بر معانی: در این مبحث نیز میان لفظ و معنی یا میان شکل و مضمون، پس از بررسی مورد نیاز، ارتباط معنایی یافته شده است؛ هم چنین آرای برخی از ناقدان معروف عربی چون جاحظ و ابن رشیق قیروانی، ابن جنی و ابوهلال عسکری و دیگر ناقدان در این موضوع مطالعه ، و از چگونگی استدلال آنها آگاه شده ایم.

۳- دلالت اوزان شعری بر معانی: در این بررسی نیز درصدد بررسی ارتباط و هماهنگی میان وزن شعر و معنای آن برآمدیم و معیارهای روشنی را که ناقدان ادب عربی به طور گسترده از آن بحث کرده بودند، ارزیابی کردیم و نظرنهایی خود را در این مورد به صورت تحلیلی بیان کردیم. کلمات اصلی: لفظ و معنا، شکل و مضمون در جمله، آهنگ حروف در جمله، اغراض بحری شعر.

المقدمة :

الحمد لله على أن يسر لنا من العلم و العمل ما لم نكن عليه بقادرين ، و هياً لنا من الجدّ و الصبر ما لم نكن له بحاملين . و الصلاة و السلام على محمد النبي الأمين صلي الله عليه و آله و على سائر الأنبياء و المرسلين ، و من أخلص لله في علمه و عمله إلى يوم الدين .

و بعد : فلما نظرنا نظرة عابرة إلى مؤلفات النقد الأدبي والمؤلفات العروضية ، خطر ببالنا موضوع مناسب لكتابة هذه المقالة ، و هو أن الحروف و الألفاظ و الأوزان الشعرية إذا استعملت بشكل جميل و بليغ يمكن أن تؤثر في أحاسيس الآخرين كساحري يخلب قلوب الناظرين بأعماله الساحرة .

لهذا راجعنا المقالات و الكتب العروضية و أيضا كتب النقد الأدبي و من أهمها : العمدة لابن رشيق القيرواني ، و الصناعتين لأبي هلال العسكري ، و كتاب عيار الشعر لابن طباطبا و غيرها . و لكن حينما طالعنا هذه المؤلفات رأينا فيها فراغا لخلوها من أي عمل جاد في هذا المضمار على الرغم من الجهود المبذولة هنا و هناك، هذه الجهود التي يشكر عليها مؤلفوها .

الأمر الذي دعانا إلى أن نكتب مقالة حول هذا الموضوع اكتشاف السرّ المكنون في اللغة - أية لغة كانت - في امتلاك ناصية القلوب و الاستيلاء على الألباب ؛ فلهذا درسنا تأثير بعض أجزاء اللغة كالحروف و الألفاظ و الأوزان الشعرية في المعاني .

بعد هذه الدراسة استنبطنا أن سبب نجاح أكثر الأدباء الناجحين جمال المعنى في كلامهم .

إن جمال المعنى لا يؤثر في أحاسيس القارئ أو السامع إلا بحسن التعبير . و التعبير هو الصياغة ، و ترتبط الصياغة بفنون اللغة من نحو و صرف و غيرها و بكل ما يتصل بالكلمة المفردة و بالجملة و ما وراء ذلك من دلالات تؤثر في طبيعة المعنى و الغرض .

جمال المعنى و حُسن التعبير إذا كانا متلازمين، كان لهما في قارئيهما و سامعيهما أثر كبير في القلوب . إذا كان الأديب ضعيف التأثير تضيع أدلته المقنعة و تذهب هواء في شبك ؛ و إذا كان قوى التأثير في عواطف قارئيه و سامعيه ألهب مشاعرهم و أثار أحاسيسهم فينشدون إليه و يتحمسون لفكرته .

هذا كل ما نريد توضيحه و بيانه في هذه المقالة . و ما التوفيق إلّا بالله ، عليه توكلنا و إليه نُنيب .

### دلالة الحروف على المعاني :

ايحاءات الحروف :

يعتبر النقاد الايحاء أحد مقاييس نقد الكلمة و الكلمة إنما تتكون من حروف .  
فما معنى الايحاء؟ الايحاء انارة الكلمة في النفس ، و أن تكون الكلمة  
مصوّرة بجرس حروفها للمعنى الذي تدل عليه ، كاستخدام كلمة الصليل في قول  
المتنبي ( ١٩٩٧م./٤١٩ ) :

وَ أَمْوَاهُ تُصِلُّ بِهَا حَصَاهَا      صَلِيلَ الْحَلِي فِي أَيْدِي الْعَوَانِي

أمواه : ج ماء. تصيلّ : تصوّت. العواني : النساء الحسان .

فان ارتطام المياه بالحصي ، يحدث صوتا يصوّره الصاد و اللام . وقدعني  
نقّاد العرب بهذا اللون من الدراسة فتعقّبوا بمقدار وسعهم أجراس الحروف التي  
تضاهي أصوات الأفعال .

فمثلا « قضم » يستخدم في اليابس و « خضم » في الرطب ، و ذلك لقوّة  
القاف و ضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى و الصوت الأضعف للفعل  
الأضعف .

و قيل مثلا « قط الشيء » اذا قطعه عَرَضاً و « قده » اذا قطعه طُولاً ، و  
ذلك لأنّ منقطع الطاء أقصر مدة من منقطع الدال . ( ابن جني ، ١٩٩٠م / ١ / ٦٦-  
٦٧ ) .

و ذهب البعض الى أنّ كلّ حرف في اللغة العربية يكاد يحمل دلالة حركته  
فيثير صورة متصلة بلفظة و خيالاً يتضمنه النطق به .

ونجد بعض الأحيان في اللغات الأخرى هذه الدلالة . فمثلا نجد الحافظ

الشيرازي في اللغة الفارسية ينشد ( ١٣٧٨هـ.ش / ٢٥٩ ) :

نماز شام غريبان كه گريه آغام      به مويه های غريبانه قصّه پردازم

من از ديار حبيبم نه از بلاد غريب      مهيمنا به رفيقان خود رسان بازم

فهو في هذا الغزل يختار الحروف الممتدة لأنه يريد أن يبين أحزانه و

همومه لأنّ الحروف الممتدة تناسب الهمّ و الغمّ و الحزن و الألم .

أو ينشد ( ۱۳۷۸ هـ.ش / ۲۲ ) :

در دیر مغان آمد یارم قدحی در دست

مست از می و میخواران از نرگس مستش مست

و في هذا البيت يختار الحروف غير الممتدة لأنه يريد أن يبين معنى ساراً .  
لأنّ الحروف غير الممتدة توافق المعاني السارة . و نجده في البيت التالي  
( ۱۳۷۸ هـ.ش / ۱۳۸ ) :

از صدای سخن عشق ندیدم خوشتر یادگاری که در این گنبد دوار بماند

جاء بالحرف الذي يدلّ على الصوت الذي يحدث تحت تلك القبة بسبب

تكرار حرف « الدال » .

و أمّا في اللغة العربية – و هي من أدق اللغات تعبيراً و أصحّها قياساً – نجد

حروفها تدلّ على المعاني بدقة ، فمثلاً :

حرف الحاء اذا وقع آخر الكلمة دلّ علي  
الظهور و الامتداد و التفريق مثل : شرح ، باح السر ،  
ساح الماء ، صاح الرجل ، فاح الطيب ، شرح الكلام  
، صرح بما ينوي ، فضح أمره و ... أو حرف الشين  
اذا وقع في أول الكلمة دلّ علي التفريق مثل : شنتت  
شملهم ، شطر الشيء ، شاع الخبر ، شف الثوب و ...  
أو حرف التاء اذا جاء ثاني الكلمة دلّ علي القطع مثل  
: بت الحبل ، بتر العضو و ... أو حرف الثاء اذا كان  
ثاني الكلمة دلّ علي الانتشار مثل : بث الخبر ، بثق  
النهر ( انفجر ماوه ) و ... أو حرف السين و الصاد و  
الضاد و الطاء اذا كان ثاني الكلمة دلّ علي القطع  
مثل : حسم ، حصد ، قص ، قطع ، قطف و ... أو

حرف الغين اذا وقع في أول الكلمة دلّ علي الاستتار  
 و الظلمة و الخفاء مثل : غابت الشمس ، غشيه الأمر  
 ، غمره الماء ، غرس ، غرق ، غطي و... أو حرف  
 النون اذا وقع في أول الكلمة دلّ علي الظهور و  
 البروز مثل : نفث ، نفخ ، نبت ، نبذ ، نزع ، نزع ،  
 نما ، نطق و ... أو حرف القاف في المجموعات  
 التالية يتضمن الاصطدام أو الانفعال و تقترن بحدوث  
 صوت شديد تصوره القاف في شدتها مثل : قد ، دق ،  
 شق ، طق ، عق ، طرق ، قرع ، قطع ، قذف و ...  
 أو حرف السين يدلّ علي الليونة و السهولة مثل :  
 سهل ، سلم ، سل ، سلس ، سال ، سما ، سعد ، سكن  
 و....\* .

نستنتج من ذلك أنّ الحروف باعتبارها أحد أجزاء اللغة ، تؤثر في أحاسيس  
 المخاطب تأثيراً جميلاً اذا استخدمت في مكانها المناسب .

#### دلالة الألفاظ على المعاني :

من المشاكل التي أثارها النقاد قديماً و حديثاً مشكلة الصورة و المضمون في  
 الأدب أو مشكلة الشكل و المحتوى أو بعبارة أوضح مشكلة اللفظ و المعنى .

ففي كتب البلاغيين جدل شديد حول اللفظ و المعنى .

و باعتبار أن البلاغة تتمثل في النصوص المكتوبة أو الملفوظة فأين تكون

البلاغة ، في اللفظ أو في المعنى ؟

نحن نعتقد بأنّ اللفظ و المعنى متلازمان لا ينفصلان .

« إنّ فنّ الأدب ينهض على دعامتين ، هما فكرة الأدب و صورته ، و هما

سر ما فيه من عظمة و جمال ، غير أنّ هذه العظمة و ذلك الجمال لا يقعان موقعهما

و لا يحدثان أثرهما الا اذا انضمت اليهما دعامة ثالثة ، و تلك الدعامة هي المطابقة

و التناسب بين الصياغة و المضمون من جهة ، و ما يتصل بالعمل الأدبي من وجوه

من ناحية الغرض و الموضوع و قارئ الأدب و المستمع اليه من جهة أخرى » (

بدوي طبانة ، ١٩٧٢ / ٥٦ ) .

\* <http://www.al-atheer.com/vb/showthread>.

و نجد آثار هذه المطابقة بين اللفظ و المعنى في الأغراض الشعرية فمثلا :  
أحد مقومات الوصف ، أن تكون العبارات و التراكيب ملائمة لما يوصف سواء أ  
كان الموصوف منظرا رائعا ، أم معركة حامية ، أو ياسا ... .

قال الله تعالى في وصف القيامة : « بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ \* الْقَارِعَةُ \*  
مَا الْقَارِعَةُ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ \* یَوْمَ یَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ \* وَتَكُونُ  
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ \* فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ \* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ \* وَأَمَّا مَنْ  
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ \* فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ \* نَارٌ حَامِيَةٌ » (سورة القارعة ) .

فالعبارات و الحروف ( كالكاف ، و العين ) هنا جزلة قويّة ثلاثم مشاهد هذا  
اليوم المرعب ، و قد نصبت فيه الموازين لتقرير مصائر العباد .

قال الله تعالى أيضا يصف مقام أهل الجنة :

« إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ \* تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ  
النَّعِيمِ \* يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّحْنُومٍ \* خِتَامُهُ مِسْكَ \* فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ \*  
وَمِرْآةٌ مِنْ نُورٍ \* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ » (سورة المطففين ، الآية ٢٢-٢٨) .

أما العبارات و الحروف ( كالهزمة ، و الياء ، و النون ) هنا فقد جاءت رقيقة  
، لطيفة ، تناسب مقام الجنة و نعيمها و سعادة أهلها .

« الأشعار أيضا بعضها مقبولة و بعضها غير مقبولة . فإذا كان الكلام  
الوارد على الفهم منظوماً مُصَفَّيً من كدر العيِّ ، مُقَوِّمًا من أودِ الخطأ و اللحن ،  
سَالِمًا من جور التَّأْلِيفِ ، موزونًا بميزان الصَّوَابِ لفظًا و معنًى و تركيبًا اتَّسَعَتْ  
طُرُقُهُ ، و لَطَفَتْ مَوَالِجُهُ فَقَبِيلُهُ الْفَهْمُ ، و ارتاح له ، و أيسر به . و إذا ورد عليه على  
ضدِّ هذه الصِّفَةِ و كان باطلاً مُحَالًا مَجْهُولًا انسدَّتْ طُرُقُهُ ، و نَفَاهُ ، و استوحش عند  
حِسِّهِ به ، و صدئ له ، و تَأَذَى به كَتَأَذَى سَائِرِ الْحَوَاسِّ بما يخالفها [...] . و علته  
كُلُّ حَسَنٍ مَقْبُولٍ الْإِعْتِدَالُ ، كما أنَّ عِلَّةَ كُلِّ قَبِيحٍ مَنَفِيٍّ الْإِضْطِرَابُ [...] . و للشعر  
الموزون إيقاعٌ يَطْرَبُ الْفَهْمُ لَصَوَابِهِ و ما يردُّ عليه من حُسنِ تَرْكِيبِهِ و اعتدالِ أَجْزَائِهِ  
، فإذا اجتمع للفهم مع صِحَّةَ وَزْنِ الشَّعْرِ صِحَّةٌ وَزْنِ الْمَعْنَى و عذوبَةُ الْإِظْفَاقِ فَصَفًا  
مَسْمُوعَةٌ و معقولة من الكدر تمَّ قبولُهُ له ، و اشتمالُهُ عليه ، و إن نَقَصَ جزءٌ من

أجزائه التي يكملُ بها- وهي اعتدالُ الوزن ، وصوابُ المعنى ، و حُسْنُ الألفاظ - كان إنكارُ الفهم إيّاه على قدر نقصان أجزائه » ( ابن طباطبا ، ١٩٨٥ م. / ٢٠ و ٢١).  
و أمّا مشكلة اللفظ و المعنى فمن المشاكل التي شغلت قلوبنا كثيرا و بعد التفكير و التدبّر و التأمل في آراء النقاد ، جعلنا هذه الجملة أمام أعيننا : «لا لفظ و لامعنى بل أمر بين أمرين» و رافقنا النقاد الذين يهتمون باللفظ و المعنى معا، كابن رشيق القيرواني و عبدالقاهر الجرجاني و ... .

فابن رشيق في كتابه « العمدة في صناعة الشعر و نقده » يقول في فصل فتحه لبحث مشكلة اللفظ و المعنى : « اللفظ جسمٌ و روحه المعنى ، و ارتباطه به كارتباط الروح بالجسم : يضعف بضعفه و يقوى بقوّته . فإذا سلم المعنى و اختلَّ بعضُ اللفظ ، كان نقصاً للشعر و هُجْنَةٌ عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العَرَج و السُّلُّ و العَوَر و ما أشبه ذلك، من غير أن تذهبَ الروح ؛ و كذلك إن ضَعَفَ المعنى و اختلَّ بعضه ، كان للفظ من ذلك أوفرُ حظِّ ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح. و لانجدُ معنى يختلُّ الا من جهة اللفظ و جَرِيه فيه على غير الواجب ؛ قياساً على ما قدّمت من ادواء الجسوم و الأرواح . فان اختلَّ المعنى كله، و فسد، بقي اللفظ مَوَاتًا لا فائدة فيه ، و إن كان حَسَنَ الطَّلَاوة في السَّمْع ، كما أنَّ الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين إلّا أنه لا يُنْفَعُ به، و لا يُفيد فائدة . و كذلك ان اختلَّ اللفظُ جُمْلَةً ، و تَلَاشَى ، لم يَصِحَّ له معنى ؛ لاثا لا نجدُ روحاً في غير جسم ألبتّة » ( ١٩٨٨ م. / ١ ، ٢٥٢ ) .

فهو لا يفصل بين اللفظ و المعنى كما صنع الآخرون من النقاد ، بل هما في رأيه مترابطان ترابط الجسم بالروح ، فما يصيب أحدهما من آفة يصيب الآخر أيضا .  
و عبد القاهر الجرجاني هو الآخر نراه يوافق رأي ابن رشيق في هذا الأمر أيضاً ، كان من زعماء مدرسة النظم .

فمدرسة النظم قد وحدت النظرة الى وجهي الكلمة : لفظها و معناها . و رأت فيها جسداً و روحاً متكاملين اذا اعتلَّ أحدهما اعتلَّ الآخر .



فعبد القاهر يرى أن الألفاظ رموز لمعانيها ، و ان اللفظة لا قيمة لها فى ذاتها ، و انما تنبع قيمتها الحقيقية من المعنى الذى تدلّ عليه .

لفظة ( الالم ) مثلا لا قيمة لها فى ذاتها ، و انما تنبع قيمتها من المعنى الذى اصطلح الناس على فهمه منها .

و اذا سلّمنا بما يريد عبد القاهر و من الطبيعى ان نسلم به فمن حقنا أن نعجب معه من الذين يجعلون للفظ بلاغة تنفصل عن معناه أو يجعلون البلاغة للفظ وحده دون معناه ، فهو يحمل على الفريق الاول الذى يفصل اللفظ عن معناه قائلاً :

واعلم أنى على طول ما أعدتُ و أبدأتُ ، و قلت و شرحت فى هذا الذى قام فى أوهام الناس من حديث اللفظ لربما ظننت أنى لم اصنع شيئاً . و ذاك :انك ترى الناس كأنه قد قضى عليهم ان يكونوا فى هذا الذى نحن بصدده على التقليد البحت ، و على التوهم و التخيل ، و إطلاق اللفظ من غير معرفة بالمعنى قد صار ذاك الدأب و الدين، و استحكم الداء منه الاستحكام الشديد . و هذا الذى بيناه و أوضحناه كانك ترى ابدا حجابا بينهم و بين ان يعرفوه ، و كانك تسمعهم منه شيئاً تلفظه اسماعهم ، و تنكره نفوسهم ، و حتى كأنه كلما كان الامر أبين ، كانوا عن العلم به ابعد ، و فى توهم خلافه أقعد ، و ذاك لان الاعتقاد الاول قد نشبَ فى قلوبهم ، و تأشبَ فيها . و دخل بعروقه فى نواحيها ، و صار كالنبات السوء الذى كلما قلعته عاد فنبت . و الذى له صاروا كذلك : أنهم حين رأوهم يفردون اللفظ عن المعنى و يجعلون له حسنا على حدة ، و رأوهم قد قسموا الشعر فقالوا : ان منه ما حسن لفظه و معناه ، و منه ما حسن لفظه دون معناه ، و منه ما حسن معناه دون لفظه ، و رأوهم يصفون اللفظ باوصاف لا يصفون بها المعنى . ظنوا ان للفظ من حيث هو لفظ حسنا و مزية و نبلا و شرفا ، و ان الاوصاف التى نحلوها اياها هي اوصافه على الصحة ، و ذهبوا عما قدمنا شرحه من أن لهم فى ذلك رأيا و تدبيراً ، و هو ان يفصلوا بين المعنى الذى هو الغرض و بين الصورة التى يخرج فيها ، فنسبوا ما كان من الحسن و المزية فى صورة المعنى الى اللفظ ، و وصفوه فى ذلك باوصاف هي تخبر عن أنفسها انها ليست له ، كقولهم : انه حلى المعنى ، و انه كالوشى عليه ، و انه قد كسب المعنى دلا و شكلا ، و انه رشيق انيق و انه متمكن و انه على قدر المعنى لافاضل و لا مقصر الى اشباه ذلك مما لا شك انه لا يكون و صفا له من

حيث هو لفظ و صدى صوت ، الا انهم كأنهم رأوا بسلا  
حراما ان يكون لهم في ذلك فكر و رؤية . ( الإمام عبد  
القاهر الجرجاني ، ١٩٦١م. / ٢٣٦ و ٢٣٧ ) .

فهو في النص السابق يؤكد فكرتين على درجة من الأهمية ، لاحساسه بانه  
يقدم فكرا جديدا يخالف التقاليد السائدة مؤكداً عليه في اكثر من موضع ، و بأكثر من  
صورة فهذا الفكر الذي يؤكدده هو :

اولا : ان اللفظ من حيث هو صدى و صوت لا قيمة له في ذاته بل تنبع  
قيمته من المعنى الذي يدل عليه .

ثانيا : لا نستطيع ان نفصل اللفظ عن معناه ، او الصورة عن غرضها .  
و هو لذلك يحمل على ابن قتيبة و قدامة بن جعفر و امثالهما من النقاد الذين  
يفصلون بين اللفظ و المعنى و جاعلين لكل منهما بلاغة منفصلة فلا بلاغة للفظ عند  
عبد القاهر الا في تعبيره عن معناه كما اننا لا نستطيع تبين المعنى او الغرض الا في  
صورته اللفظية .

أ لست ترى معي ان فكرة عبد القاهر في تلاحم اللفظ و المعنى ، و احساسه  
بان اللفظ صورة المعنى تحل كثيراً من مشاكل النقد العربي ؟  
انّ عبد القاهر كان من الذين يعتقدون بانّ اللفظ و المعنى متلازمان ،  
لا ينفصلان ؛ كما رأينا في قوله الذي ذكرناه .

و نرى في هذا المضمار ( أي مضمار اللفظ و المعنى ) فريقين من الأدباء :  
الفريق الأول ، هم الذين ينزعون الى جانب تفضيل الألفاظ و منهم : الجاحظ و أبي  
هلال العسكري .

و الفريق الثاني ، هم الذين ينزعون الى جانب المعنى ، و المعاني عندهم  
أكرم قدرا و أرفع شأنًا و أعلى مكانة من الألفاظ ، و منهم ابن جني .  
أما الجاحظ ، فهو في كل جانب من أحاديثه يرفع من شأن اللفظ و يغضّ من  
شأن المعنى ، بل انه يسقطه اسقاطا ، فليس له فضل و لا مزية و لا قيمة فنية . و«  
المعاني فانها في نظره-مطروحة في الطريق ، يعرفها العربي والعجمي، والبدوي  
والقروي» (بدوي طبانة ، ١٩٧٢/٧٤) .

وأبو هلال العسكري أيضا يرجح جانب اللفظ على المعنى و يقول :

« ليس الشأن فى ايراد المعاني لأنّ المعاني يعرفها العربى و الأعجمى و القروى و البدوى ، و انما هو فى جودة اللفظ و صفائه و حسنه و بهائه ، و نزاهته و نقائه و كثرة طلاوته و مائه مع صحّة السبك و التركيب .. » ( ١٩٥٢م . / ٥٧-٥٨ ) .

و أيضا يقول فى كتابه « الصنائع » : « من أراد معنى كريما فليتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف » ( ١٩٥٢م . / ٥٨ ) .

و أما ابن جنى فى كتابه « الخصائص » فيرجح جانب المعنى حيث أفرد فى هذا الكتاب بابا مستقلا جعل عنوانه « باب فى الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ و اغفالها المعاني » فرأى ابن جنى أنّ العرب اذا اعتنت بالألفاظ فانما هى أصلا تخدم المعاني التى تحملها تلك الألفاظ . و المعاني عندها أكرم قدرا و أرفع شأنًا و أعلى مكانة من الألفاظ و الشأن كل الشأن للمعاني . ( ١٩٩٠م . / ٢١٦-٢٣٨ ) .

نستنتج من هذا الفصل ، أن الألفاظ و المعاني متلازمان لا ينفصلان . و نفهم اذا كان هناك تلاؤم بين الألفاظ و المعاني ، صار الكلام مؤثرا نافذا فى قلوب السامعين و القارئین أكثر فأكثر .

فالتلاؤم بين الألفاظ و المعاني يتصل اتصالا وثيقا بعلم النفس . فالأديب فى كلّ ما يصدر عنه من نشاط أدبي يستلهم تجاربه العقلية و النفسية . و لهذا فالأدب مرآة عقل الأديب و نفسه .

اننا نستطيع أن نتبين الصلة الوثيقة بين اللغة التى تثير فى النفوس شتى الانفعالات و العواطف و بين علم النفس .

الدكتور عبد العزيز عتيق يقول فى كتابه « فى النقد الأدبي » : « الكلمة تصير رمزا لمجموعة من الوجدانات . .... فاذا أخذنا على سبيل المثال كلمة « الحرب » و تتبعناها لدى الشعراء وجدناها ترمز الى وجدانات سارة عند بعضهم ، و الى وجدانات مؤلمة عند البعض الآخر . يقول أبو فراس الحمداني و هو فى الأسر :

( ١٩٩١م . / ٥١ ) :

فلا تصفن « الحرب » عندي فائتها طعامي مذ بعت الصبا و شرابي!  
 فمنذ أن فارق عهد الصبا و « الحرب » عنده قوام حياته ، فهي ترتبط في  
 ذهنه بوجدانات سارة تمثل فروسيته ، و انتصاراته في الحروب التي اشترك فيها . و  
 قد ترمز كلمة « الحرب » الى وجدانات مؤلمة تنطوي فيها . فزهير بن أبي سلمى ،  
 و قد شهد المآسي و الولايات التي جرتها حرب داحس و الغبراء على العرب ترتبط  
 كلمة « الحرب » في ذهنه بكل ما هو مؤلم ، و ذلك اذ يقول : (١٩٦٤م. / ٨١ و ٨٢) :  
 و ما « الحربُ » الا ما علمتم و دُفتمُ و ما هوَ عنها بالحديثِ المرجمِ  
 متى تَبَعْتوها تَبَعْتوها دَمِيمَةً و تَضْرأ إذا ضَرَيْتُموها فَتَضْرَمُ  
 ( عتيق ، ١٩٧٢م. / ٩٤-٩٥ ) .

و صفوة القول أن الألفاظ التي لا تدلّ على معانيها اذا استخدمت في جملة  
 فقدت تلك الجملة قيمتها البلاغية .

#### دلالة الأوزان الشعرية على المعاني :

« منذ أن وجد الشعر وجدت معه الأوزان ، فالشاعر لا ينطق بكلامه في لغة  
 عادية و انما ينطقه موزونا ، و كأنه يلبي فينا غريزتنا أو فطرتنا الأولى قبل أن تنشأ  
 اللغات ، اذ كنا نتصايح بأصواتنا ، و كأننا كلّ صيحة كانت كلمة أو قل كانت قصيدة  
 ، نعبر بها عن مشاعرنا و احساساتنا ، تلك الاحساسات و المشاعر التي كانت تشبه  
 محيطا متجمدا » ( شوقي ضيف ، ١١١٩ / ٩٩ ) .

الوزن الشعري ، يراد به البحر الشعري الذي نظمت عليه القصيدة و للنقاد  
 في ذلك رأيان فيرى بعضهم ان هناك علاقة بين موضوع القصيدة و غرضها من  
 جهة و بين الوزن الشعري من جهة أخرى .

فالبحور ذات التفعيلات الطويلة تصلح غالبا للموضوعات الحماسية و  
 نحوها، كما أن البحور الخفيفة تصلح للغزل و نحوه .

فمثلا نجد ان بحر الوافر موافق للفخر ، و بحر الرمل موافق للحزن و الفرح  
 ، و بحر السريع موافق للعواطف ، و قيل ان ذلك علاقة ظاهرة و ليس قاعدة . اما

البعض الآخر فيعتقدون بعدم وجوب هذه العلاقة أو هذا التلاؤم فالناقد ايرج كابللي في كتابه « وزن شناسى و عروض »- باللغة الفارسية - لا يرى ضرورة لازمة بين الوزن و موضوع القصيدة و يستدلّ على ذلك بأدلة ، فيرى ان الأوزان التي تستخدم في مضمون خاص ليست خاصة بذلك المضمون ، بل يمكن أن تستخدم في مضامين أخرى أيضاً . فمثلا اذا رأينا « الشاهنامه » و « گرشاسب نامه » و غيرها و قد نظمنا على بحر المتقارب ، لا ينبغي أن نقول : انّ البحر المتقارب بحر خاص بالحماسة ، لأننا نجد في « الشاهنامه » أو « گرشاسب نامه » أيضا ، أبياتا غزليّة أو حكميّة .

و أيضا يقول ما معناه : الوزن إناء يستطيع أن يستوعب كلّ ما وضع فيه ، و يعتقد بأنّ الشاعر يمكنه أن يختار أىّ وزن يرغب النظم فيه بشرط ان تكون الفاظه موافقة لمضامينها ( كابللي، ١٣٧٦ هـ.ش / ٣١١-٣٢٦ ) .

و لكننا نعتقد بوجوب هذا التلاؤم بين الوزن و المضمون . لأنّ الشاعر الذي يستخدم بحر الهزج مثلا ، لا ينبغي أن يكون مضمون قصيدته ، رثاء و لأته لا يستطيع أن يؤثر في القارئ تأثيراً هادفاً باستخدامه هذا البحر .

الشعر يؤثر في سامعيه اذا كان بين وزنه و موضوعه تلاؤم .

لا شك أنّ الموسيقى و الأصوات في النصّ ، تؤثر تأثيرا مباشرا أو غير مباشر في وجدان القارئ المتذوق و شعوره ، فمثلا بحر الهزج يهزّ أوتار الفرح في القلب اما بحر الخفيف فله موسيقى حزينة تثير هموم الانسان و احزانه .

على هذا نجد ان كل بحر من البحور الشعرية يؤدي غرضا خاصاً به . فيجب على الشاعر ان يستخدم لكل غرض بحراً خاصاً به .

و هذا التلاؤم بين الوزن و موضوع القصيدة من العوامل التي تؤثر على القارئ تأثيرا شديدا و عميقا ؛ وأنّ الجمال و الكمال في الشعر لا يحصل الا بهذا التلاؤم بين الأوزان و المعاني .

« مع نموّ حياتنا الانسانية و نموّ سيطرتنا على هذه المواد التي اتخذناها للبيان مواد اللفظ و الكلمات أخذ الشعر ينمو ، و لكن لم يفارقه النغم و النشيد ، فهو

لَبَّه و صميمه . و اذا كان الموسيقيون يستطيعون أن يعبروا بأصوات موسيقاهم عن فرحهم و حزنهم ، بل لقد أخذ تعبير الموسيقى يرقى في أدائه حتى أصبح صورا و قصصا يصل فيها الموسيقيون و يجولون فإنّ الشعراء هم الآخرون رقت أنغامهم و ألحانهم على طول الزمن » ( شوقي ضيف ، ١١١٩ / ٩٩-١٠٠ ) .

و أخيراً، ان الكلام لا يؤثر في المخاطبين الا اذا كان جميلا و بليغا . المتكلم يستطيع أن يحول شخصية المستمع بكلامه الجميل و البليغ إلى أحاسيس و عواطف منشدة اليه .

و لا بدّ أن تكون الألفاظ ، فصيحة أي مفهومة و مأنوسة الاستعمال و واضحة أي تدلّ اللفظة على المطلوب فتأتي مطابقة لمعناها .

و الكلام اللطيف المعنى ، الحلو اللفظ ، التام البيان ، فهو أنفذ من نفث السحر . و قد قال النبيّ (ص) : «انّ من الشعر لحكمة و انّ من البيان لسحرا » ( صحيح البخاري ، ١٩٩٢م ./ ج٧ ، ٣٠ ) .

#### الخاتمة :

الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ \*

فهنا من هذه المقالة أن يكون هدفنا في انشاء كلّ عمل أدبيّ غير مركز على اللفظ وحده و لا على المعنى وحده بل يجب أن يكون : اللفظ و المعنى متلازمان لا ينفصلان . اذا أراد المتكلم أن يكون كلامه أكثر تأثيرا فعليه أن يهتمّ باللفظ و المعنى معا . فحُسن التعبير دون جمال المعنى لا يفيد ، و كذلك جمال المعنى دون حُسن التعبير .

فاذا أردنا أن نخلب قلوب السامعين أو القارئین في خطاباتنا أو في كتاباتنا ، و أن نثير الانفعال المطلوب في نفوسهم ، و ننعش ذاكرتهم ، و نجعلهم مائلين الينا ، و نثير مشاعرهم من الشفقة ، و المحبة ، و الغضب ، أو البغض ، أو الحسد ، أو المنافسة فعلينا أن يكون كلامنا لفظه أحلى و معناه أجمل و بيانه أكمل . فهذا الكلام يؤثر في قلوب الآخرين أكثر فأكثر .

و إذا علمنا بأنّ كلّ الحروف و الألفاظ و الأصوات التي تخرج من أفواهنا ، لها أثر فى قلوب الآخرين و فى ذاكرتهم . فعلىنا أن نهتمّ بعواطف الآخرين و أحاسيسهم ، و أن لا نملأ آذان الآخرين بكلمات سخيّة و معاني ناقصة و ضعيفة ، و أن لا نتكلّم النا بعد تدبّر و تفكّر عميق . كما يقول الامام علي- عليه السّلام – فى نهج البلاغة ( خطبة ١٧٦ ) : « انّ المؤمن اذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبّره فى نفسه فان كان خيرا ابداه و ان كان شرّاً واره » .

و الخلاصة انّ الكلام اللطيف المعنى ، الحلو اللفظ ، التام البيان ، أنفذ من

نفث السحر .

## المراجع و المصادر :

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- ابن جني ، أبو الفتح عثمان ( ١٩٩٠ م. ) ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، بغداد : دار الشؤون العامة .
- ٣- ابن رشيق القيرواني ، الامام أبي علي الحسن ( ١٩٨٨ م. ) ، العمدة ، الطبعة الأولى ، تحقيق الدكتور محمد قرقران ، بيروت : دار المعرفة .
- ٤- ابن طباطبا ، أبو الحسن محمد بن أحمد ( ١٩٨٥ ) ، عيار الشعر ، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع ، الرياض : دار العلوم .
- ٥- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ( ١٩٨٨ م. ) ، البيان و التبيين ، الطبعة الأولى ، قدم لها و بوبها و شرحها الدكتور علي أبو ملحج ، بيروت : دار و مكتبة الهلال .
- ٦- الجرجاني ، عبد القاهر ( ١٩٦١ م . ) ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، صحح أصله الشيخ محمد عبده و الشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي ، و وقف على تصحيح طبعه و علق حواشيه السيد محمد رشيد رضا ، مصر : مكتبة القاهرة .
- ٧- حافظ ، خواجه شمس الدين محمد ( ١٣٧٨ هـ . ش ) ، ديوان ، چاپ پنجم ، تحقيق دكتور قاسم غني و علامه قزويني ، تهران : انتشارات ساحل .
- ٨- زهير بن ابي سلمى ( ١٩٦٤ م . ) ، ديوان ، بيروت : دار صادر ، دار بيروت .
- ٩- ضيف ، د . شوقي ( ١١١٩ ) ، في النقد الأدبي ، الطبعة الثالثة ، مصر : دار المعارف .
- ١٠- طبانه ، د. بدوي ( ١٩٧٢ ) ، البيان العربي ، الطبعة الخامسة ، بيروت : دار العودة .
- ١١- عتيق ، د. عبد العزيز ( ١٩٧٢ ) ، في النقد الأدبي ، الطبعة الثانية ، بيروت : دار النهضة العربية .



- ۱۲- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ( ۱۹۵۲ ) ،  
الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار  
احياء الكتب العربية .
- ۱۳- كابلې ، ايرج ( ۱۳۷۶ هـ.ش ) ، وزن شناسي و عروض ، اصفهان :  
چاپ نقش جهان.
- ۱۴- الموقع الانترنتي على عنوان : [www.al-atheer.com](http://www.al-atheer.com)